

كتاب

دور الملوك في مهامه الملوك

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

مُتْرَاتُ الْفِقْهِ السِّيَاسِيِّ الْإِسْلَامِيِّ

اَلتَّحْقِيقُ

عِلْمُ السِّيَاسَةِ فِي سِيَاسَةِ الْمَلِكِ

لِلرَّعَايَةِ

أَبِي الْحَسَنِ عَسْكَرِيِّ بْنِ حَبِيبِ الْمَأْوَرِدِيِّ

(الْمُتَوَفَّى ٤٥٠ هـ)

تَحْقِيقٌ وَرَدَّائَةٌ وَتَعْلِيلٌ

الْمُسْتَشَارُ الذَّكْتُورُ

فَوَادِ عَجَبُ الْمُنْعِمِ أَحْمَدُ

خَبِيرُ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّابِقِ لِدَوْلَةِ قَطْرِ
الْأَسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ بِكَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ قِسْمِ الْقَضَاءِ
مَدَامَةَ أُمِّ الْقُرَيْشِ

دار الوطن للنشر

الرياض - شارع العذر - ص. ب. ٣٣١٠

ت: ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد صاحبت أبا الحسن الماوردي منذ أكثر من ربع قرن من الزمان، ووقفت على كتبه المخطوطة والمطبوعة، ودرستها - ما وسع الجهد والوقت - ووفقني الله عز وجل؛ ولله المنة والحمد، إلى إخراج دراسة عنه بعنوان: من أعلام الإسلام: الإمام أبو الحسن الماوردي (المتوفى ٤٥٠ هـ) تناولت جوانبه المختلفة في التفسير، والفقه وأصوله، والأخلاق والتربية، منذ قرابة عشرين عاماً^(١). وحققت من كتبه: «قوانين الوزارة»^(٢)، و«الأمثال والحكم»^(٣) وأثبت انتفاء نسبة كتاب «التحفة الملوكية في الآداب السياسية»^(٤) وكتاب «نصيحة

-
- (١) بالاشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود - رحمه الله - وصدرت الطبعة الأولى عن مؤسسة شباب الجامعة بالأسكندرية، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٨ م.
- (٢) مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- (٣) مؤسسة شباب الجامعة الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٤) مؤسسة شباب الجامعة الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

الملوك» إليه^(١).

ووفقني الله عز وجل في زيارتي لتركيا منذ عدة سنوات أن أعثر على بعض المخطوطات لأبي الحسن الماوردي منها: «درر السلوك في سياسة الملوك»، نسخة خزائية نفيسة، والكتاب قدمه الماوردي إلى حاكم عصره وصاحب السلطة الفعلية فيه: بهاء الدولة البويهى، ضمنه الأخلاق التي يجب أن يتصف بها، والمبادئ والمقاصد التي تسيطر على السياسة الإسلامية.

وقد بذلت جهدي وطاقتي في تحقيق نسبة الكتاب وتوثيقه ودراسته، وأسأل الله عز وجل أن يتقبل عملي، وأن ينفع به الراعي والرعية، وأن نفوز بمحبة الله ورضاه.

كتبه

فؤاد عبد المنعم أحمد

الإسكندرية في ربيع الأول ١٤١٧ هـ

(١) الماوردي وكتاب «نصيحة الملوك»، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الأولى،



مقدمة الدراسة والتحقيق

نتناول في هذه المقدمة دراسة عن: المؤلف، والكتاب وقيمتها العلمية ونسخته، ومنهج التحقيق في مبحثين:

المبحث الأول

المؤلف: أبو الحسن الماوردي

عصره، معالم حياته، شيوخه، وظائفه، تلاميذه، آثاره العلمية، وفاته، ثناء الأئمة عليه.

المبحث الثاني

نسبة الكتاب وقيمتها العلمية ونسخته، ومنهج التحقيق

- مدى نسبة الكتاب إلى أبي الحسن الماوردي.
- القيمة العلمية للكتاب وأثرها في مؤلفات الماوردي السياسية.
- التعريف بالكتاب، ومصادره، وخصائصه.
- وصف نسخة الكتاب.
- منهج التحقيق.

المبحث الأول

المؤلف: أبو الحسن الماوردي

فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عصر الماوردي .

المطلب الثاني : معالم حياة الماوردي، نسبه، مولده ومكان ولادته، وشيوخه، ووظائفه، وأهم تلاميذه .

المطلب الثالث : وفاته، وآثاره العلمية، وثناء الأئمة عليه .

المطلب الأول

عصر الماوردي

ظهر أبو الحسن الماوردي في الفترة الثانية من الحكم العباسي التي تميزت بسيطرة أسرة بني بويه على الخلفاء العباسيين، ويشاء الله أن يكون بدء ظهور البويهيين في الأفق السياسي عام ٣٣٤ هـ قريباً من مطلع مولد أبي الحسن الماوردي عام ٣٦٤ هـ، وأن يكون أقول نجمهم عام ٤٤٧ هـ قريباً من وفاته عام ٤٥٠ هـ، وقد حكم البويهيون ما يقرب من قرن من الزمان، وعاش الماوردي ستاً وثمانين سنة.

ويقول المؤرخون إن (بويه) كان والدًا لثلاثة أخوة: علي، الحسن، وأحمد، وهي أسرة فارسية يطلق عليهم (الديلم) انتظمت داخل جيش الخلافة الإسلامي، واشتهروا بالشجاعة كما وصفوا بالطيش والعجلة والقسوة والغلظة، وأخذوا يترقون في المناصب العسكرية حتى وصلوا إلى أعلى درجات السلطة والوزارة، وسيطروا على الدولة دون الخليفة العباسي، فأنشأوا في بغداد إمارة وراثية ظلت بأيديهم، وكان البويهيون شيعة يخالفون في مذهبهم الخلفاء العباسيين حماة المذهب السني، لذلك لم يعترفوا بسيادة الخليفة العباسي؛ لأنه لم يكن لديهم باعث ديني يحثهم على طاعة الخليفة واحترامه^(١) فكان الخلفاء تحت

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨، ١٧٧.



إمرتهم يعزلونهم، أو يسملون عيونهم، أو يقتلونهم، ويعينون بديلاً منهم.

يقول ابن الأثير: «إن معز الدولة البويهى ذهب إلى الخليفة المستكفي بالله وقبل الأرض بين يديه وجلس، وحضر مجلس الخليفة رسول صاحب خراسان، وفريق من الناس فتقدم اثنان من أتباع معز الدولة نحو المستكفي بالله (٣٣٨ هـ) الذي ظن أنهما يريدان تقبيل يده، فجذباه وطرحاه إلى الأرض ووضعاه عمامته في عنقه؛ وساقاه ماشياً إلى دار الدولة حيث اعتقل فيها؛ ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء، ثم أحضر (معز الدولة) أبا القاسم الفضل بن المقتدر وبايعه بالخلافة، ولقبه (المطيع لله) (من ٣٣٤ هـ - ٣٦٤ هـ) وأحضر المستكفي، فشهد على نفسه، وسملت عيناه؛ وظل معتقلاً حتى توفي عام ٣٣٨ هـ، واستأثر معز الدولة بالسلطة دون الخليفة العباسي، ولما تولى السلطة ابنه عز الدولة عامل الخليفة أسوأ من معاملة أبيه، ففي عام ٣٦٢ هـ طلب الأمير البويهى مبلغاً من المال بحجة الجهاد ضد الروم الذين اعتدوا على الأراضي الإسلامية، ولم يكن المال متوفراً لدى المطيع فاضطره لبيع أثائه ومجوهراته، وأخذ أربعمئة ألف درهم^(١)، ولم ينفقها عز الدولة على

(١) المصدر السابق: ج ٦ ص ٣٤٢، ص ٣٤٣.

الجهاد، بل أنفقها على مصالحه، وأشيع في بغداد أن الخليفة قد صودر^(١)، وقد اشتد الغلاء ببغداد في عهد المطيع لله حتى مات الناس من الجوع، وأكلت الكلاب جثثهم^(٢). وليس أدل على ضعف نفوذ الخليفة العباسي، واستبداد البويهيين بالسلطة من هذه الرسالة التي بعث بها الخليفة المطيع إلى عز الدولة بختيار (٣٦٧ هـ) حين طلب منه الأمير البويهي المال للجهاد مدعياً أن ذلك من واجب الإمام فرد عليه الخليفة: (الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي، وإلى تدبير الأموال والرجال. أما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفايتي؛ وهي في أيديكم وأيادي أصحاب الأطراف - الأقاليم - فلا يلزمني غزو ولا حج، ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي تخطبون به على منابركم، تسكنون به رعاياكم، فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار، وتركت لكم الأمر كله)^(٣). وانتهى الأمر بأن عزل الأمير بختيار الخليفة المطيع، وولى الطائع بدلاً منه.

وتولى الطائع (من ٣٦٣ هـ - ٣٨١ هـ) وقبض عليه بهاء الدولة،

-
- (١) ابن مسكويه: تجارب الأمم ج ٢، ص ٣٠٨.
 (٢) جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص ٣٩٨.
 (٣) مسكويه: تجارب الأمم ج ٣ ص ٣٠٧.

لأنه حبس رجلاً من خواصه، وأجبره على أن يخلع نفسه من الخلافة، وسلم الأمر إلى القادر بالله (٤٢٢ هـ)، وفي بداية عهد القادر بالله وفي مجلس توليته حلف بهاء الدولة للخليفة على الطاعة والقيام بشروط البيعة، كما حلف الخليفة القادر بالله للأمير بهاء الدولة بالوفاء والإخلاص وقلده ما وزاء داره، وقد بلغت به حسن السياسة والكياسة إلى أن تزوج ابنة بهاء الدولة^(١).

وكان القادر بالله رجلاً صالحاً متديناً، شافعي المذهب، كتب كتاباً في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة، وكان يكفر المعتزلة والقائلين بخلق القرآن. وفي عهده لقي العلماء التكريم والاهتمام فقد أنشأ وزيره أبو النصر سابور بن أردشير داراً بالكرخ وأوقفها على العلماء، وجعل بها كتباً كثيرة، فظهر في هذا العصر كثير من العلماء، والمفكرين المسلمين كان منهم: أبو إسحاق الإسفراييني رأس الأشاعرة، والقاضي عبد الجبار أحمد رأس المعتزلة، ورأس الرافضة الشيخ المقتدر، ورأس الكرامية محمد بن الهيصم، ورأس المحدثين الحافظ عبد الغني بن سعيد، ورأس الصوفية عبد الرحمن السلمى^(٢).

وتولى القائم بالله (من ٤٢٢ هـ - ٤٦٨ هـ) وكان عادلاً رحيماً

(١) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤١٢، ٤١٦.

متصدقاً، وأرسل الخليفة القائم بالله أبا الحسن الماوردي إلى الملك أبي كاليجار لأخذ البيعة عليه للقائم ويخطب له في بلاده^(١). ولما استأثر جلال الدولة بهدايا ومنح الخليفة القائم أرسل في طلبها أبا الحسن الماوردي كوسيط بينه وبين جلال الدولة^(٢).

وعلى الرغم من أن البويهيين سلبوا السلطة من الخلفاء العباسيين؛ إلا أنهم كانوا ينظرون إليهم باعتبارهم رؤساء المسلمين، كما أن هؤلاء الخلفاء احتفظوا بسلطتهم الدينية كتعيين القضاة وأئمة المساجد وولاية الحسبة وأمراء الحج^(٣).

وفي الوقت الذي كان الأمراء البويهيون ينالون من الخلفاء العباسيين؛ فقد بالغ هؤلاء الخلفاء في تكريم وتعظيم الأمراء البويهيين، فكان الخليفة العباسي يجلس في حفل عام ويقلد الأمير البويهي للسلطنة، ويعطيه عهداً أمام كبار الدولة ويلقبه بألقاب التكريم، ففي سنة ٣٨١ هـ لقب الخليفة القادر بالله الأمير البويهي فيروز بن عضد الدولة، ثم زيدت ألقابه سنة ٣٩٢ هـ فصارت بهاء الدولة، وضياء الملة،

(١) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٧٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ١٦٠.

(٣) فاضل الخالدي: الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق في القرن الخامس الهجري، مطبعة الإيمان، بغداد ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م، ص ٢٨.

وغياث الأمة، وقوام الدين صفي أمير المؤمنين.

ووصل الأمر بجلال الدولة في عام ٤٢٣ هـ أن يطلب من الخليفة القائم بأمر الله أن يخطب له بلقب «ملك الملوك» فامتنع الخليفة أول الأمر، ولما استفتى الفقهاء في ذلك أجازه أربعة منهم: القاضي أبو الطيب الطبري، والقاضي أبو عبد الله الصيمري؛ والقاضي ابن البيضاوي؛ والقاضي أبو القاسم الكرخي، وامتنع عن الفتيا قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي، فخطب لجلال الدولة بملك الملوك، وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة، يتردد على داره، ولما أفتى بهذه الفتيا انقطع عنه، ولزم بيته ثلاثة أشهر، ثم استدعاه جلال الدولة وأكرمه، لأنه اتبع سبيل الحق في مخالفة أمر السلطان^(١). وفي عام ٤٤٠ هـ طلب الأمير أبو النصر خسرو فيروز من الخليفة القائم بتلقيبه بالملك الرحيم، فامتنع الخليفة في أول الأمر وقال: لا يجوز أن يلقب بأخص الصفات لله ثم وافق عليه رغم إرادته^(٢).

وشارك الأمراء البويهيون الخلفاء في سيادتهم الدينية والسياسية، فمنذ عهد عضد الدولة صار الأمير البويهي يذكر مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة، بل إن عضد الدولة حين اختلف مع الخليفة الطائع حذف

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ١٩١، وابن خلدون: العبر ج ٤ ص ٤٨٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٢٢٧، ٢٢٨.

اسمه من الخطبة لمدة شهرين، كما شارك الأمراء البويهيون الخليفة العباسي في نقش أسمائهم على النقود؛ وقد تجرأ بعض الأمراء البويهيين فحذفوا اسم أمير المؤمنين من النقود، واكتفوا بذكر اسمه مجرداً من اللقب، بينما حرصوا على ذكر أسمائهم وألقابهم، وكناهم ويذكر البيروني (٤٤٠ هـ) الذي عاصر كلاً من القادر بالله، والقائم بأمر الله أن الدولة والملك قد انتقلاً من آل عباس إلى آل بويه، والذي بقي بأيدي خلفاء الدولة العباسية إنما هو أمر ديني واعتقادي، وليس ملكاً دنيوياً. والقائم الآن (أي في عهده) هو رئيس الإسلام لا ملك^(١).

وحاول معز الدولة البويهي نقل الخلافة من البيت العباسي إلى أحد العلويين، يقول ابن الأثير: إنه استشار جماعة من خواصه، ولكن حذره بعضهم من سخط الناس ومخالفتهم؛ لأن العامة في الأقطار الإسلامية اعتادوا الدعوة للعباسيين؛ وأطاعوهم طاعة لله ورسوله، كما أن معز الدولة خشي على نفوذه في العراق من وجود خلافة علوية قوية تنزل مركز البويهيين؛ فعدل عن رأيه وآثر أن يستبد بالسلطة في ظل خليفة عباسي ضعيف على أن يكون تابعاً لخليفة قوي يعترف بإمامته^(٢).

(١) البيروني: الآثار الباقية من القرون الخالية ص ١٣٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ١٤٩.



ولم يقتصر النزاع بين الأمراء والخلفاء بل امتد إلى البيت البويهى نفسه، وبدأ النزاع بوفاة ركن الدولة الحسن بن بويه ٣٦٦ هـ، وظهر فريق آخر من البويهيين ممثلاً في أبناء ركن الدولة ومعز الدولة، وقد تجلّى في عهدهم النزاع والتنافس مما أدى إلى زوال ملكهم في العراق وبلاد الفرس على أيدي السلاجقة الأتراك، وكان أبو الحسن يقوم بإصلاح ذات البين بينهم، فقد حدث خلاف بين جلال الدولة وأبي كاليجار، وقد رأى الخليفة القائم بالله ٤٢٨ هـ أن يضع حداً لخلافهما، فأرسل أبا الحسن الماوردي على رأس الوفد المفاوض الذي بعث به الخليفة إلى أبي كاليجار، واستقر الرأي عام ٤٢٩ هـ على عقد صلح بينهما على أن تكون البصرة لأبي كاليجار^(١).

وفي عام ٤٤٧ هـ في عهد القائم بالله زال سلطان بني بويه، وظهرت سلطة جديدة متمثلة في الأتراك السلاجقة في شخصية البساسيري الذي قبض على الخليفة القائم بالله وسجنه، وكان ذلك عام ٤٥٠ هـ أي السنة التي مات فيها أبو الحسن الماوردي ويروى أن القائم بالله كتب قصته وأرسلها لتعلق على أستار الكعبة، واشتكى إلى الله ظلم البساسيري، واستجاب الله دعاءه ففي عام ٤٥٥ هـ قبض طغرل بك على أخيه البساسيري، وقتله، ورجع الخليفة إلى داره، ولم ينم إلا على

(١) ابن الأثير، نفس المصدر: ج ٩ ص ١٨٩.

فراش مصلاه إلى أن مات عام ٤٦٧ هـ^(١).

وفي الجانب الديني: كثيراً ما كانت تحدث فتن ومعارك بين أهل السنة المؤيدين من الخليفة والشيعة المؤيدين بالبويهيين، فقد حدث بينها فتنة في عام ٣٩٨ هـ عندما كتبت الشيعة قرآناً محرّفاً ونسبوه إلى ابن مسعود فأحرقه أبو حامد الإسفراييني، فتجمع حول داره بعض الشيعة وكادوا يقتلونه^(٢).

لقد كان التشيع مأوى يأوي إليه كل من يريد أن يكيّد للإسلام، أو إدخال تعاليم آبائه من يهودية، ونصرانية، وفارسية، أو يريد استقلال بلاده عن دولة الإسلام. كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل الرسول ستاراً يضعون وراءه كل ما تشاء لهم الأهواء، فاليهودية ظهرت في التشيع في قول بعضهم أن نسبة الإمام علي إلى الله كنسبة المسيح إلى الله لدى النصارى^(٣).

أما المجتمع الذي عاش فيه أبو الحسن الماوردي فقد كان مجتمعاً طبقياً انقسم فيه المجتمع إلى أربع طبقات: طبقة الخلفاء والسلطين والملوك، وطبقة الوزراء وكبار أصحاب المناصب كرؤساء الجند والقضاة،

(١) جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٤٨.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٤١٤.

(٣) الشيخ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٣١، ٣٢.



وطبقة الأثرياء الذين يتحكمون في اقتصاد الدولة، وطبقة العوام وهم سواد المجتمع، وهم الطبقة الدنيا.

ويمكن أن نقول: إن أبا الحسن الماوردي في فترة نضوجه الديني والسياسي، وتأثره بالمجتمع قد عاصر الخليفتين: القادر بالله، والقائم بالله، فقد توليا الخلافة في الفترة من عام ٣٨١ هـ إلى ٤٦٧ هـ كما عاصر أبو الحسن الماوردي من الأمراء البويهيين: بهاء الدولة، وسلطان الدولة، وشرف الدولة، وجلال الدولة، وأبو كاليجار، والملك الرحيم.



المطلب الثاني

معالم حياة الماوردي

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ولد بالبصرة عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م، ورحل إلى بغداد وتعلم بها، وعلم فيها. واشتغل بالقضاء في البصرة وبغداد، وصل إلى منصب قاضي القضاة عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م.

واشتهر الماوردي في الفكر الإسلامي ببحوثه السياسية، وتكاد أن تكون تلك هي صبغته. فكتب كتابه الهام الذي ارتبط بالسلطنة كتاباً سماه باسمه، فيقال صاحب كتاب: «الأحكام السلطانية»، كما أفرد للوزارة كتاباً ضمنه «قوانين الوزارة»، كما ألف كتاب: «تسهيل النظر وتعجيل الظفر» وهو أيضاً في السياسة. وقد ساعد الماوردي في كتاباته السياسية قربه من الخلفاء والملوك والوزراء وعمل سفيراً بينهم وبين خصومهم السياسيين.

وكان الماوردي أديباً لغوياً، أثري الأدب العربي، كما كتب في الأخلاق والتربية، كما وثقه بعض علماء الجرح والتعديل في الحديث، وكان فقيهاً شافعياً مجتهداً ينهج نهجاً علمياً يكاد يكون حديثاً، فيعرض لوجهات النظر المتعارضة والمختلفة في المسألة الواحدة ويرجح



بينها، وينتهي لرأي، يرى فيه وجه الحق والصواب حتى انتهت إليه زعامة الشافعية في عصره.

وانفرد في تفسيره ببعض الاتجاهات التي تدل على أصالة وعمق في التفكير. وتتميز جميع كتاباته بأسلوب واضح بليغ ينتقي ألفاظه ومعانيه، ويؤلف بينها كأنها شعر منشور.

وكان أخلاقياً في سيرته ومعاملاته بين الناس. وعمر طويلاً فعاش ستاً وثمانين سنة، ومات سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م، ودفن ببغداد بباب حرب.

شيوخه:

تتلمذ الماوردي على يد شيخين كبيرين:

أحدهما: أبو القاسم عبد الواحد بن الحسين الصيمري، ولم نجد شيئاً كثيراً عنه في كتب التراجم وكل ما وصلنا إليه أنه سكن البصرة وارتحل إليه الناس من أماكن كثيرة، وكان حافظاً للمذهب الشافعي ومصنفاً فيه. وكان الماوردي يخرج مع جماعة تحيط بالصيمري، ومن تصانيفه: الإيضاح في الفروع، ويقع في سبعة مجلدات، وله كتاب الكفاية، وكتاب في القياس والعلل، وكتاب صغير في أدب المفتي والمستفتي، وكتاب في الشروط. وتوفي الصيمري بعد